فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل فى
كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة كعيسى ع م او بكفاية من الله كيحيى
عم فضيلة زائدة لكونها شاغلة فى كثير من الاوقات حاطة الى الدنيا
ثم هى فى حق من اقدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم يشغله عن
ربه درجة علياء وهى درجة نبينا ع م الذى لم تشغله كثرتهن عن
عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن و
اكتسابه لهن وهدايته اياهن بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه
هو وان كانت من حظوظ دنيا غيره فقال صلوات الله وسلامه عليه
حبب الى من دنياكم فدل على ان حبه لما ذكر من النساء والطيب اللذين هما
من امور دنيا غيره واستعماله ع م لذلك ليس لدنياه بل لاخرته للفوائد التى
ذكرناها فى التزويج وللقاء الملائكة فى الطيب ولانه ايضا مما يحض على الجماع
ويعين عليه ويحرك اسبابه وكان حبه لهاتين الخصلتين لاجل غيره وقمع
شهوته وكان حبه الحقيقى المختص بذاته فى مشاهدة جبروت مولاه و
مناجاته ولذلك ميز بين الحبين وفصل بين الحالين فقال وجعلت قرة
عينى فى الصلوة فقد ساوى يحيى وعيسى عليهما السلام فى كفاية فتنتهن
وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان ممن اقدر على القوة فى هذا فاعطى الكثير
منه ولهذا ابيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره وقد روينا عن انس رض
انه ع م كان يدور على نسائه فى الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن
احدى عشرة قال انس رض وكنا نتحدث انه ع م اعطى قوة ثلاثين رجلا
خرجه النسائى وروى نحوه عن ابى رافع وعن طاووس اعطى ع م قوة اربعين
رجلا فى الجماع ومثله عن صفوان بن سليم وقالت سلمى مولاته طاف النبى
صلعم على نسائه التسع وتطهر من كل واحدة قبل ان ياتى الاخرى وقال هذا
اطيب واطهر وقد قال سليمان ع م لاطوفن الليلة على مائة امرأة او تسع
وتسعين وانه فعل ذلك قال ابن عباس رض عنها كان فى ظهر سليمان ماء
مائة رجل وكانت له ثلثمائة امرأة وثلث مائة سرية وحكى النقاش
سبع مائة امرأة وثلثمائة سرية وقد كان لداود ع م على زهده واكله
من عمل يديه تسع وتسعون امرأة وتمت بزوج اوريا مائة وقد نبه على
ذلك فى الكتاب بقوله تعالى ان هذا اخى له تسع وتسعون نعجة وفى
حديث انس عنه عليه السلام فضلت على الناس باربع بالسخاء و
الشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش واما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة
وبقدر جاهه عظمة فى القلوب وقد قال الله تعالى فى صفة عيسى ع م
وجيها فى الدنيا والاخرة لكن افاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى
الاخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده وورد فى الشرع مدح الخمول

وذم

وذم العلو فى الارض وكان صلعم قد رزق من الحشمة والمكانة فى القلوب
والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون اصحابه
ويقصدون اذاه فى نفسه خفية حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا
حاجته واخباره فى ذلك معروفة سياتى بعضها وقد كان يبهت ويفرق
لرؤيته من لم يره كما روى عن قيلة انها لما راته ارعدت من الفرق فقال
يا مسكينة عليك السكينة وفى حديث ابى مسعود ان رجلا قام بين يديه
فارعد فقال هون عليك فانى لست بملك الحديث واما عظيم قدره
بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفا والكرامة
فى الدنيا فامر هو مبلغ النهاية ثم هو فى الاخرة سيد ولد آدم وعلى معنى هذا
الفصل نظمنا هذا القسم باسره فصل واما الضرب الثالث فهو ما يختلف
الحالات فى التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لاجله ككثرة المال
فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به الى حاجته و
تمكن اغراضه بسببه والا فليس فضيلة فى نفسه فمتى كان المال بهذه
الصورة وصاحبه منفقا له فى مهماته ومهمات من اعتراه واماله وتصريفه
فى مواضعه مشتريا به المعالى والثناء الحسن والمنزلة فى القلوب كان
فضيلة فى صاحبه عند اهل الدنيا واذا صرفه فى وجوه البر وانفقه فى
سبل الخير قصد بذلك الله والدار الاخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال
ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه
عاد كثيره كالعدم وكان منقصة فى صاحبه ولا يقف فيه على جدد السلامة
بل اوقعه فى هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فاذا التمدح بالمال
وفضيلته عند مفضليه ليست لنفسه وانما هو للتوصل به الى غيره وتصريفه
فى متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه غير ملى
بالحقيقة ولا غنى بالمعنى ولا متمدح عند احد من العقلاء بل هو فقير
ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما بيده من المال الموصل لها
لم يسلط عليه فاشبه خازن مال غيره ولا مال له فكانه ليس فى يده
منه شئ والمنفق ملى غنى بتحصيله فوائد المال وان لم يبق فى يده
من المال شئ فانظر سيرة نبينا ع م وخلقه فى المال تجده قد اوتى
خزائن الارض ومفاتيح البلاد واحلت له الغنائم ولم تحل لنبى قبله و
فتح له فى حياته صلعم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانى
ذلك من الشام والعراق وجلبت اليه من اخماسها وجزيتها وصدقاتها
ما لا يجبى للملوك الا بعضه وهادته جماعة من ملوك الاقاليم فما استاثر
بشئ منه ولا امسك منه درهما بل صرفه مصارفه واغنى به غيره و
قوى به المسلمين وقال ما يسرنى ان لى احدا ذهبا يبيت عندى منه

Copyright King Saud University